

المنهاج اللبناني في مواجهة جائحة كورونا

لا يزال المنهاج اللبناني يبحث عن هويته بين نهجين من التعلّم: النهج القائم على التعلّم على الكفايات، حيث "المعلّم هو مصدر المعرفة" أي أن على المتعلّم الوصول إلى الكفايات اللازمة من خلال الحصول عليها بإدارة المعلّم، والنهج القائم على التعلّم المستقل والنشط، حيث "المتعلّم هو محور العملية التعلّمية" أي الحرية في التعلّم النشط واستخدام المصادر بإشراف المعلّم الذي يلعب دور الموجه. لكن نظامنا، في لبنان، لا يزال واقعا في حيرة بين هذين المبدئين .

منذ العام ١٩٩٧، استعجلت الدولة اللبنانية، دون تحديد فلسفة تربوية واضحة ولأسباب نجهلها، في وضع منهاج تربوي جديد بعد حرب أهلية امتدت على مدى ثلاثين عاماً، كان ذلك في فترة لم يكن التطور التكنولوجي فيها قد أرحى بظلاله على المجتمع كما هي الحالة القائمة اليوم، وتمّ وضع المنهاج بطريقة تشبه إلى حدّ بعيد النسخ واللصق عن المنهاج الفرنسي المعتمد على مبدأ الكفايات، وقد جاء في المرسوم رقم ١٠٢٢٧/٩٧ أن على القيميين على التربية إعادة تطوير هذا المنهاج كل ثلاث سنوات نظرا للمتغيرات المتوقّعة حدوثها مع الثورة التكنولوجية المرتقبة. هذه الثورة التي أخذت تفرض ايقاعها على التربية في لبنان باتجاه تمكين المتعلّم من الحصول على العديد من المهارات التي تؤهّله للتعامل مع التغيير الآتي. وفيما تجمّد المنهاج عندنا لألف سبب وسبب منذ العام ١٩٩٧، عمل الفرنسيون على تغيير مناهجهم عدة مرات لكي تكون متناسبة مع النظام العالمي الجديد .

أما وقد جاءت جائحة كورونا لتفرض ايقاعها على العملية التربوية دون أن نكون حاضرين لمواجهتها وفرضت علينا ظاهرة التعلّم عن بعد، فإن الوزارة والمركز التربوي للبحوث والإنماء لم يكونا في جهورية كاملة لمواجهة هذه الظاهرة وحصدنا نتيجة ذلك بعضاً من فشل، هذا إذا لم نذهب بالمغالاة حتى اعتبار أن الفشل الحاصل هو كامل المواصفات. لقد كان علينا القيام مسبقاً بتحضير معلمينا للتعامل مع الأنماط الجديدة للتعلّم والمبنية على دفع المتعلّم إلى التكيّف مع جميع الحالات الافتراضية وبشكل خاص هذا النمط من التعلّم، ونتيجة لسوء التقدير والخوف من التغيير، اضطرت وزارة التربية لتطبيق التعلّم عن بعد ضمن الإمكانيات المتواضعة فيما كان المعلّمون لا يزالون في بداية مرحلة تدريبهم على تطبيقات شركة ميكروسوفت وغيرها من مؤتمرات الفيديو مثل تطبيق Teams و Zoom دون الذهاب مذهب الفلسفة التربوية المبنية على التعلّم النشط، فانت الخطة ناقصة إذ جاء استخدام هذه التطبيقات كوسيلة بديلة للتدريس على اللوح الأسود حيث استبدل هذا الأخير باللوحة الالكترونية فقط. وبعد تجربة سنة ونيف من هذا النمط في التعلّم تبين أنه مجرد تعلّم كلاسيكي مع فارق وحيد هو استبدال اللوح الأسود بشاشة الكمبيوتر أو بشاشة الهاتف الخليوي أو اللوحة الرقمية .

مقاربات المنهاج اللبناني

يرتكز المنهاج الحالي على التدريس "المقارب" المبني على حصول المتعلّم على الكفايات اللازمة في عملية نقل المعرفة من المعلّم إلى المتعلّم، هذا الذي يلعب دور المتلقي السلبي للمعرفة فيما يخضع لعملية تقييم مُحكمة الإقبال، لا تجريّ إلا بعد حصوله على الكفايات الضرورية، فيما العالم الحديث، يتجه إلى التدريس "المفتوح"

المبني على المشاركة النشطة من قبل المتعلم، ما يدفع إلى توفير تعلم مستقل للمتعم مع إمكانية واسعة للتعبير عن نفسه وإبراز قدراته وابداعاته واستخدامه لتفكيره النقدي وقدرته على القيادة على أوسع نطاق، ناهيك عن تعدد أدوات التقييم وأشكالها وعدم حصرها في نهاية الفصل الدراسي. فنجد مثلا التقييم الذاتي من قبل المتعلم بالتوازي مع التقييم الذي يقوم به المعلم.

إننا نقوم بإعداد المتعلم للحصول على الكفايات التي تؤهله للحصول على الشهادة، لكننا نغفل أهمية اكتسابه المهارات الضرورية التي تؤهله لتحديات العمل المنتج دون أن يكون مضطرا لمتابعة دورات تدريبية واسعة قبل مباشرة العمل في أية مؤسسة يدخل إليها.

وامام التغيرات المتسارعة في العالم الرقمي، وظهور مجالات عمل جديدة، إضافة إلى التغيرات الكبيرة في أساليب العمل، تبرز الحاجة إلى النهج التباين (**Differentiated approach**) يواكب هذا التغير ويدفع المتعلم إلى تطوير قدرته على النمو الذاتي والتعلم مدى الحياة إضافة إلى مهاراته الأكاديمية كاللغات والرياضيات. وهنا تبرز مجموعة من الأسئلة الصعبة التالية: كيف يمكن خلق توازن بين هذين النهجين ضمن تعقيدات عملية التدريس والتعلم؟ وهل يمكن التغاضي عن المتعلمين من ذوي الاحتياجات الخاصة؟ وهل سيدفع ذلك إلى نهج مبني على "المقاربة المتعددة الاختصاصات" (**Multidisciplinary Approach**) والتأكيد على كافة الذكاءات التي يمكن أن تكون أكثر فاعلية في منح المتعلمين فرصا أكبر لاستخدام قدراتهم. إن التعلم المستقل والنشط سوف يكون بالطبع مثمرا جدا لو تم تطبيقه من قبل المعلمين المؤمنين بمبدأ كون "المتعلم هو محور العملية التعليمية".

لا يمكن التحدث عن تغيير بمعزل عن الولوج في فلسفة جديدة للمنهج وتطبيق هذه الفلسفة في عمليات تدريب المعلمين، فلو كان مناهجنا قد فرض على مدربي المركز التربوي للبحوث والإنماء بناء على تدريب المعلمين على مبدأ التعلم المستقل من قبل المتعلمين، لما كنا رأينا هذا الفشل الحاصل في تطبيق التعلم عن بعد، إذ يكفي، مثلا، أن يطرح المعلم على تلامذته القيام ببحث علمي مدروس حول موضوع الدرس المطلوب شرحه لتتحول الحصة التعليمية عن بعد من التدريس الكلاسيكي إلى التعلم الناشط من خلال تكوين حلقة حوار ناشط بين المتعلمين أنفسهم، وبينهم وبين معلمهم، تبرز فيها قدرات المتعلمين وابداعاتهم والتحفيز الذاتي على التفكير والتفكير النقدي والتشارك في الأفكار بما يدفع إلى دينامية في عملية التعلم وتكون العملية التعليمية قد خرجت من روتين التدريس الكلاسيكي إلى نمطية التعلم النشط. هذا، دون أن ننسى التعامل مع حالة تباين الظروف في ما بين المتعلمين حيث تبرز الحاجة قوية إلى التوجيه والتقييم المستمر من قبل المعلم. مقابل ذلك يمكن للوزارة استخدام الإعلام المرئي وسيلة دعم لا وسيلة تعلم للمتعلمين كي يتمكنوا بشكل منفصل من ادارة الأبحاث التي ذكرناها سلفا مع إمكانية تكرار هذا التوجيه على أكثر من شاشة تلفزيونية. وهذا سيسهل على المتعلم الوصول إلى المعرفة في أي زمان وأي مكان دون أن يتعرض لمشاكل التزامن في ما بين الإخوة في عملية استخدام الانترنت في المنزل الواحد.

التعلم عن بعد

أشكال التعلم عن بعد

لفهم المشاكل التي وقعنا بها لا بدّ من التطرّق إلى تبيان أشكال التعليم عن بعد أي الأونلاين. هذا التعلّم الذي يتمّ بطريقة مباشرة بين المعلّم والمتعلّمين أو بطريقة غير مباشرة عبر إرسال الدروس والفروض إلى المتعلّم عن طريق الإنترنت، ويحضر المتعلّمون دروسهم من المنزل، بدلاً من الصف. لقد أصبحت مدارسنا مضطّرة الآن لتوفير فرص تعليم عن بعد. وقد عرف هذا التعليم فئتين أساسيتين هما: التعليم المتزامن (Synchronous Learning) وهو يشير إلى أساليب التعليم عن بعد التي يتمّ فيها إيصال المادة التعليمية للمتعلّمين وهم في الوقت نفسه موجودون على الشبكة، وهذا يحتاج إلى الاتصال المباشر بين المتعلّمين والمعلّمين، وتستخدم فيه تقنيات مثل المؤتمرات المباشرة كتطبيقات ميكروسوفت التي سبق وذكرناها، والتعليم غير المتزامن (Asynchronous Learning) حيث يتلقّى المتعلّمون المواد الدراسية المحدّدة بمواعيد نهائية أسبوعية. ممّا يتيح لهم حرية الدراسة والتعلّم وفقاً لسرعتهم كما أنها تتيح لهم فرصاً أكبر للتفاعل مع المادة الدراسية، ومع زملائهم نظراً لأنهم يستطيعون الوصول إلى المادة الدراسية بشكل دائم والتفاعل معها من خلال الدردشات عبر الإنترنت، أو الامتحانات القصيرة أو التعليقات أو غير ذلك.

مميزات التعلم عن بعد

أكان التعلّم عن بعد متزامناً أم غير متزامن، فإنه يحفّز المتعلّم ذاتياً من خلال تدريبه على مهارات التنظيم والانضباط وإدارة الوقت، والمرونة حيث يمكن المتعلّم من ممارسة تعلّمه حسب الوقت الذي يناسبه، كما أنه يؤمّن له سهولة الوصول إلى المواد وإمكانية تكييفها مع الأهداف المرسومة بالتعاون بينه وبين المعلّم، أضف إلى ذلك ميزة توفير الوقت والمال من خلال الحصول على مواد تعليمية إلكترونية في الزمان والمكان اللذين يختارهما المتعلّم وبدون تكلفة تذكر أو بتكلفة قليلة نسبياً. وأخيراً، هذا التعلّم يؤمّن للمتعلّم الحصول على تجربة تفاعلية ممتعة من خلال إقامة الرحلات الافتراضية واستخدام الفيديو بشكل مباشر أو غير مباشر، ما يعطي التعلّم متعة ومشاهدة بالصورة والصوت لا يمكن أن يؤمّنهما التعلّم الكلاسيكي.

هل يمكن لنمط التعليم الحالي التعامل مع جائحة كورونا والصعوبات الطارئة؟

لقد دفعنا كوفيد ١٩ إلى التعامل مع عالم جديد يحمل الكثير من التحديات والمتطلبات البنيوية الكثيرة، كالحاجة إلى الكهرباء والإنترنت والوسائل والوسائط الحديثة التي تتطلب إعداد المعلمين والمتعلّمين لبيئة متغيرة وشديدة التطلّب. أمام هذا التحدي، كان من الضروري النظر في تعقيدات نظامنا التعليمي نفسه والعديد من المشاكل التي تجب معالجتها. وبالتالي علينا التعامل مع مفاهيم وأساليب جديدة لتسهيل إدخال تغييرات ناجحة قابلة للتطبيق. وهذا يمكن تأمينه باعتماد الخطوات التالية:

- التعامل مع المتعلّم الباحث لا المتلقّي حيث على المعلّم لعب دور الموجه.
- التركيز على المهارات التي تكون جزءاً مؤسساً للكفايات

- استخدام طرق تدريس متقدمة للتكيف مع مستويات القدرة واختلاف أنماط التعلم والخصائص الشخصية.
- خلق تكامل بين وحدات المنهج باتجاه تعدد التخصصات.

التطبيقات والمنصات والموارد التعليمية التي تستعمل كحلول للتعلم عن بعد

إن هدف التطبيقات والمنصات والموارد التعليمية هو مساعدة الأهل والمعلمين والمدارس ومديريها على تيسير عملية تعلم المتعلمين وتفاعلهم الاجتماعي في أثناء فترة إغلاق المدارس. وهناك حلول مجانية، ويقدم العديد منها محتوى متاحاً بعدة لغات، وهي تصل إلى عدد كبير من الأشخاص، ولها قاعدة واسعة من المستخدمين. ومن هذه الحلول:

1. نظم إدارة التعلم الرقمي: مثل Moodle و Google Classroom
2. النظم ذات الوظائف الهامة التي تعمل دون اتصال بالإنترنت: مثل Can't wait to Learn
3. الدورات الإلكترونية المفتوحة: مثل Coursera و Edx
4. محتوى التعلم الذاتي: مثل Khan Academy و Youtube
5. تطبيقات القراءة على الهاتف الجوال: مثل Word Reader
6. منصات تعاونية تدعم خاصية الاتصال المباشر عن طريق الفيديو: مثل Google Meet و Teams و Skype

التعلم عن بعد وتطبيقه في لبنان

في مقارنة بسيطة لتطبيق التعلم عن بعد عندنا، نجد أن هذا النمط من التعلم قد بدأ تدريساً كلاسيكياً عبر الشاشة كبيرة كانت أم صغيرة يمارس فيها المعلم عملية التلقين عن بعد لا أكثر ولا أقل. فالتعلم عن بعد في البلدان المتقدمة تروبوياً أتى كوسيلة مساعدة للتعلم الحضوري والمبني على كون المتعلم محور العملية التعليمية ولتجعل التفاعل بين المتعلم والمعلم لا ينحصر بغرفة الصفّ وكجزء من التعلم المتواصل. فهل قمنا في لبنان بتطوير مناهجنا لتتماشى مع هذا التطور أم اكتفينا بما وضع بسرعة في العام ١٩٩٧ مع ملاحظة واضعيه ضرورة التفاعل مع التطور التكنولوجي السائر نحو الانفلاش بشكل مطرد، لقد تسمّر هذا المنهاج في مكانه منذ ذلك التاريخ وانت جائحة كورونا لتفرض علينا القيام بما لم نقم به في حينه وتراكم الفشل في مواجهة هذه المشكلة على الصعيد التربوي.

أمام تفاقم المشكلة نطرح مجموعة من الأسئلة على المهتمين بالشأن التربوي وبعملية التدريب:

- هل ما يسمى التعلم عن بعد في لبنان هو حقيقة تعلم عن بعد أو تدريس عبر الشاشة؟
- هل الذين تدربوا في وزارة التربية أو في المركز التربوي قد تدربوا على التعليم عن بعد، أم أنهم تدربوا على أحد التطبيقات (Applications) التي تستخدم في عملية التعلم عن بعد، عنيت بذلك Zoom أو Teams؟
- هل عرف المتدربون كيف يمكن التعامل مع كون المتعلم يمثل محور العملية التعليمية؟

- هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على استخدام الوسائل المساعدة في التعليم وكيف يتعاملون معها لتكون أكثر التصاقاً بالحاجات التربوية للمتعلّم؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على دفع تلاميذهم نحو البحث العلمي الصحيح والواثق؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على جعل تلاميذهم محاورين مسؤولين يتقبلون الرأي الآخر ويتمتعون بالبحث النقدي؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على إدارة حلقة حوار بينهم وبين تلاميذهم بدل طرح أفكارهم المسبقة بشكل سلبي على تلاميذهم؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على إدارة التعلّم المبني على المشاريع؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على تحضير تلاميذهم للتعلّم من خلال استخدام الوسائل والوسائط المتعدّدة ومدى الحياة؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على تحفيز تلاميذهم ودفعهم إلى إبراز مختلف أنواع الذكاءات لديهم؟
 - هل تعلّم المتدربون كيف يدرّبون المعلمين على مواجهة مشكلة تقنية في استخدام الانترنت أو التطبيقات المستخدمة؟
- هذا غيض من فيض الإشكاليات التي أدت إلى بروز بعض الفشل في تطبيق التعلّم عن بعد في لبنان وبالتالي على الإدارة التربوية أن تأخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار علنا نمرّر العام الدراسي القادم بنسبة أقل من الفشل.

عبدو يمّين

رئيس الجمعية التربوية لدعم المعلوماتية ومؤسس شبكة سكول نت